

التحرير والتنوير

وفي الآية إشارة عظيمة إلى أن أمور الجزاء في الأخرى تجري على ما رتبته الله وأعلم به عباده . وأن نظام أمور الدنيا وترتيب مسبباته على أسبابه أمر قد وضعه الله تعالى وأمر بالحفاظ عليه وأرشد وهدى فمن فرط في شيء من ذلك فقد استحق ما تسبب فيه .

(فأذرتكم نارا تلظى [14] لا يصلها إلا الأشقى [15] الذي كذب وتولى [16] وسيجنبها الأتقى [17] الذي يؤتي ماله يتزكى [18] وما لأحد عنده من نعمة تجزى [19] إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى [20] ولسوف يرضى [21]) يجوز أن تكون الفاء لمجرد التفريع الذكري إذا كان فعل (أذرتكم) مستعملا في ماضيه حقيقة وكان المراد الإنذار الذي اشتمل عليه قوله (وأما من بخل واستغى وكذب بالحسنى فسنيصره للعسرى) إلى قوله تعالى (تردى) . وهذه الفاء معناها معنى فاء الفصيحة لأنها تدل على مراعاة مضمون الكلام الذي قبلها وهو تفريع إنذار مفصل على إنذار مجمل .

ويجوز أن تكون الفاء للتفريع المعنوي فيكون فعل (أذرتكم) مرادا به الحال وإنما صيغة في صيغة المضي لتقريب زمان الماضي من الحال كما في : قد قامت الصلاة وقولهم : عزم عليكم إلا ما فعلت كذا أي أعزم عليكم ومثل ما في صيغ العقود : كبتعت وهو تعريف على جملة (إن علينا للهدى) والمعنى : هديكم فأذرتكم إبلاغا في الهدى .

وتنكير (نارا) للتهويل وجملة (تلظى) نعت . وتطفى : تلتهب من شدة الاشتعال . وهو مشتق من اللظى مصدر : لظيت إذا التهبت وأصل (تلظى) تطفى بتاء بين حذف إحداهما للاختصار .

وجملة (لا يصلها إلا الأشقى) صفة ثانية أو حال من (نارا) بعد أن وصفت . وهذه نار خاصة أعدت للكافرين فهي التي في قوله (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) والقرينة على ذلك قوله (وسيجنبها الأتقى) الآية .

وذكر القرطبي أن أبا إسحاق الزجاج قال هذه الآية التي من أجلها قال أهل الإرجاء بالإرجاء فزعموا : أن لا يدخل النار إلا كافر وليس الأمر كما ضنوا : هذه نار موصوفة بعينها لا يصلى هذه النار إلا الذي كذب وتولى ولأهل النار منازل فمنها أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار اه .

والمعنى : لا يصلها إلا أنتم .

وقد أتبع (الأشقى) بصفة (الذي كذب وتولى) لزيادة التنصيص على أنهم المقصود بذلك فإنهم يعلمون أنهم كذبوا الرسول A وتولوا أي أعرضوا عن القرآن وقد انحصر ذلك الوصف

فيهم يومئذ فقد كان الناس في زمن ظهور الإسلام أحد فريقين : إما كافر وإما مؤمن تقى ولم يكن الذين أسلموا يغشون الكبائر لأنهم أقبلوا على الإسلام بشرائهم ولذلك عطف (وسيجبها الأتقى) الخ تصريحاً بمفهوم القصر وتكميلاً للمقابلة .

والأشقى والأتقى مراد بهما : الشديد الشقاء والشديد التقوى ومثله كثير في الكلام . وذكر القرطبي : أن مالكا قال : صلى بنا عمر بن عبد العزيز فقراً (والليل إذا يغشى) فلما بلغ (فأندرتكم نارا تلظى) وقع عليه البكاء فلم يقدر يتعدها من البكاء فتركها وقرأ سورة أخرى .

ووصف (الأشقى) بصلة (الذي كذب وتولى) ووصف (الأتقى) بصلة (الذي يؤتي ماله يتزكى) للإيدان بأن للصلة تسببا في الحكم .

وبين (الأشقى) و (الأتقى) محسن الجنس المضارع . وجملة (يتزكى) حال من ضمير (يؤتي) وفائدة الحال التنبيه على أنه يوتي ماله بقصد النفع والزيادة من الثواب تعريضا بالمشركين الذين يؤتون المال للفخر والرياء والمفسد والفجور .

والتزكي : تكلف الزكاء وهو النماء من الخير .

والمال : اسم جنس لما يختص به أحد الناس من أشياء ينتفع بذاتها أو بخراجها وغلتها مثل الأنعام والأرضيين والآبار الخاصة والأشجار المختص به أربابها .

ويطلق عند بعض العرب مثل أهل يثرب على النخيل .

وليس في إضافة اسم الجنس ما يفيد العموم فلا تدل الآية على أنه آتى جميع ماله .